الصورة المجازية في معجم الأمثال العامية لأحمد تيمور

(دراسة بلاغية)

أ/ هناء سعد أحمد محمد

ملخص البحث:

المجاز من أهم القضايا البلاغية في التراث العربي، وهو أداة مهمة في تشكيل المعنى، وإخراجه بهيئة جديدة، وبهذا يصبح المجاز عنصرا من أهم عناصر الدلالة، ففيه أبعاد فنية، ودلالات نفسية غنية، فهو أسلوب تصويري يمنح الأفكار المجردة حيوية ونشاطا وتجددا ونماء.

وقد تناول هذا البحث الصورة المجازية في الأمثال العامية، فالمجاز حاضر في لغة العامة تماما كحضوره في لغة الخاصة والمثقفين، كما أن اللغة العامية هي المادة الأولية للأدب الشعبي الذي يصقلها، ومن هنا وقع الاختيار على معجم الأمثال العامية لأحمد تيمور كحقل خصب للدراسة والتعرف على الصورة المجازية فيه، فالمجاز لعب دورا في الأمثال، التي لعبت دورا مهما في حياة الناس، فهي مادة ثرية ننفذ من خلالها للتعرف على طبيعة الشعب المصري، ومن ثم كان البحث في المثل الشعبي بحثا في ثقافة وسلوك الأفراد في المجتمع ونشاطاتهم وأساليب تفكيرهم، ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث، وهدفت الدراسة إلى التعرف على الصورة المجازية التي تدفع إلى الإيجابية والتفاعل مع الآخرين وتحقيق التنمية للمجتمعات والتنوير للشعوب، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وختم البحث بقائمة المصادر والمراجع.

(ISSN : 2536 - 9687)

مقدمة:

لا تخلو اللغة العربية من المجاز، وهي لغة غنية ببلاغتها التي تفي بمتطلبات التعبير، ويعد المجاز أحد أهم الأدوات التعبيرية للكشف عن الجدة والتألق الروحي في الحياة، فاللغة معه" تمتلئ بالرموز والشخوص، وألفاظها لا تحمل معاني مجردة، وإنما تحمل أشباحا تخطف البصر"(١)، "ويكاد يكون المجاز ممثلا لأكبر قيمة في انتهاك النظام اللغوي، والخروج على مألوفه، مما جعل له دورًا بارزًا في الدلالة ومباحثها، وفي خلق الصورة الفنية"(٢).

والمجاز يكشف عن المعنى الكامن وراء اللفظ فيلحقه بدلالات أخرى وإيحاءات متعددة، "وهو إذ يخرج المعنى به متصفا بصفة حسية، تكاد تعرضه على عيان السامع؛ فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتنا عن سائر اللغات، وهو في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعًا من القلوب والأسماع"(٣).

والمجاز" كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضع، لملاحظة بين الثاني والأول"(٤)، وهو "الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع"(٥)، ويعد ميدانًا خصبًا لدراسة الصورة، وهو ذو قدرة على إعادة تكوين الأشياء في صورة فنية غير مألوفة لدى المتلقى.

---

(١) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي: ١٧١، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٤م.
(٢) عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية: المقدمة٣.
(٣) القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده:٢٦٥.
(٤) الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٩٥.
(٥) السكاكي، مفتاح العلوم: ٤٦٨.

كما أن دراسةالمجاز للأمثال العامية تسهم في شرح معنى المثل ومضمونه، خاصة أن العامي يبتعد عن المعاني الحقيقية ويخلق معاني مجازية تناسب أذواقهم وتخييلاتهم، وهو لم يعرف المجاز وقواعده، كما أن الصورة المجازية للأمثال العامية لها طبيعتها التي تختلف عن الصورة المجازية في الفصحى، فلغة الأمثال العامية تعد أداة تعبير لغة حساسة شاعرة متطورة لماحة متغلغلة بما فيها من قدرة التجارب والانفعال بالحياة الجارية المتجددة أبدا، ومن هنا نحاول تحليل الصورة المجازية للكشف عن طبيعتها وغاياتها، ومن أنواع الصور المجازية ما يلي:

أولا: المجاز العقلي:

هو "الذي يجري في الإسناد، بمعنى أن يكون الإسناد إلى غير ما هو له"(١)، "هو الكلام المزال إسناده عما هو له عند المتكلم إلى غيره بضرب من التأويل"(٢)، ولضرب المثل تعلقبطبيعة الحدث اللساني اللغوي- خصوصاً فيما يتعلق بالمجاز- لما فيه من التكثيف وتركيز الدلالة، والعدول عن الدلالة المباشرة، ولما فيه من معنى التخيل، ويتعلق ضرب المثل بالمجتمع، فهو جاءاستجابة لحاجة لغوية واجتماعية، وذلك لقوة المجاز الدلالية والإستدلالية؛ لأن الاستدلال بالتصوير أعظم أثراً من الاستدلال بالقول المباشر، والحاجة إلى إثراء القاموس اللغوي والاجتماعي، وتعدد الأحوال والتجارب والحاجة للإفادة منها، أو التعبير عنها، وقدرتها في زيادة الإفهام والبيان والتوضيح، ولقدرتها على التصوير والتأثير

(١) الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٩٨، ٣٦٧.

(٢) ابن الناظم، بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق وشرح: حسني عبد الجليل يوسف: ١٤٤، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

(ISSN : 2536 - 9687)

في نفس المتلقي نظراً لأنس الإنسان بهذا اللون من التعبير.ومن الأمثلة التي تدل على ذلك:

(إللّى مَا تْرَبّيْه الأَهَالِى تِرّبِيْه الأَيَّامْ وِاللّيَالى)[1]

وهو ما يقابل المثل القائل: "نِعمَ المؤدِّبُ الدهر"[2].

وهو كقول الشاعر:

مَنْ لَمْ يُؤدَبه والده أدَّبه الليلُ والنَّهارُ[3]

وجاء لفظي(الأيام والليالي) مجازا عقليا علاقته زمانية؛فجعل الأيام تقوم بالتربية وهذا غير حقيقي، ولكن التربية تحدث على مر الأيام والليالي، فهو إسناد إلى غير ما هو له؛ حيث أسند التربية إلى الليالي وهي ليست الفاعل الحقيقي، والزمن ليس فاعلا للتربية، لكن التربية واقعة فيه، فصور الأيام والليالي بصورة المربي الذي يقوم بتربية وتوجيه الأبناء وإصلاح الاعوجاج لمن تسوء أخلاقه وتنحرف غاياته، وفي ذلك مبالغة في حدوث الفعل، وضرب من التوسع والتفنن فى بناء العبارة،"فالمجاز تجده لسعته وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لا يشكل أمرها فليس هو كذلك أبدا؛ بل يدق ويلطف حتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها، والنادرة تأنق بها"[4]، وقد جاءت (ما) النافية لبيان حالة المخاطب المرتكب للخطأ مع إصرار وفعل الأيام عليه.

وقد وقع الجناس بين لفظي (الأهالى– الليالى) للدلالة على عمق تربية الإنسان من خلال التجارب وأنه لا يستطيع الانفلات من تعليمها له، وتقوم

(١) تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية: ٦٢.
(٢) الميداني، مجمع الأمثال :٣٥٨/٢.
(٣) الجابري، علاء، الأمثال الشعبية بين الفصحى والعامية: ع٧٠/١٤.
(٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٢٩٥.

الصورة أيضًا على المفارقة؛ حيث تعكس عجز الأهل عن تربية أولادهم ونجاح الزمان في تلقين الأبناء الدروس القاسية التي تلين جانب منهم.

وقد صيغ المثل بأسلوب المدح وهو ما تميل إليه النفوس؛ حيث توجهوا إلى مدح الدهر إشارة إلى التجارب والمعارف التي تحدث فيه، وذلك ليؤكد أهمية التجارب التي يمر بها الإنسان في حياته، وما يكسبه من معارف فيها، ولتنبيه الآخرين على ضرورة الاستفادة من تلك التجارب سواء منها ما اكتسبه الإنسان بنفسه أو ما مر به الآخرون.

وقد عكس المثل أهمية التعلم الحياتي الذي يكون بالتجربة التي تنعكس على الإنسان وتترك أثرا كبيرا لا ينساه إلى أن تنتهي حياته.

ثانيا: المجاز المرسل:

وهو "ما كانت العلاقة بين ما استُعْمِل فيه وما وُضِع له ملابسة غير التشبيه"(١)، وهو ضرب من التوسع في أساليب اللغة، يستثير الخيال والتفكير، وهو من الوسائل التي تساعد على بلاغة التعبير، وعلى جمال وقعهفي نفوس المتذوقين، ذلك أنالمعنى ينتقل من مدلول اللفظ الأصلي إلىمدلول جديد هو أكثر اتساعا، وأبعد أفقًا، وأدعى إلى التأمل، وفيه تخلص من قيدالعبارة وضيقها، والشعور بحرية وضع المعاني في القوالب التي يتصورها الخيال،والأشكال التي يقبلها الذوق، ويشترط في علاقات المجاز المرسل أن تكون غامضة، ومع ذلك ليست معقدة؛ لأنوضوحها التامأو تعقيدها الكامل يفقد الاستعمال المجازي عنصر تأثيره. وللمجاز المرسل علاقات عدة أشهرها وأكثرها استعمالا ما يلي:

(١) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة:٢٠٥.

(ISSN : 2536 - 9687)

- العلاقة الجزئية:

وهي" تسمية الشيء باسم جزئه"[١]، وكون المذكور ضمن شيء آخر.

ومن أمثلتها:

(الإيد البَطَّالَهْ نِجْسَهْ)[٢]

إيد: يد، زادت العامية عليها همزة مكسورة في أولها وسكنت الياء.

يضرب في استكراه البطالة؛ وقد أطلق (اليد) وأراد الشخص؛ وعبر باليد لأنه أراد الفئة العاملة الذين يعملون بأجسامهم لا عقولهم، فصور من لا يعمل هو في حكم النجس، وجعل يده قذرة يشمأز منها، وجاءت لفظة"نجسة" للدلالة على مدى كراهية البطالة، والتقزز والتنفير منها، وهذه الكلمة مشتقة من الدين؛ فكأنهم ربطوا بين البطالة والنجاسة، وذلك لهدف التخويف والردع وأن من عمل له عليه انتظار العقاب الإلهي، وربما تشير إلى تهرب الناس من الاقتراب منه لنجاسته.

وقد عكس المثل احترام قيمة العمل وضرورته في المجتمع، وإدانة الكسل، والتقاعس، وعدم السعي في الرزق، وعدم الإقبال على العمل والركون إلى الخمول والدعة وإيثار الراحة على التعب.

العلاقة الكلية:

هي "تسمية الجزء باسم كله"[٣]؛ وكون الشيء مُتضمّنا للمقصود ولغيره.

---

(١) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي: ٢٩٧، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٠٤م.

(٢) تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية: ١٢٥.

(٣) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة:٢٩٧، بتصرف.

ومن أمثلتها:

(رَاسِ الْكَسْلَانْ بِيتِ الشَّيطَانْ)[1]

يُضرب في مضار الكسل؛ وعبر بالرأس وأراد العقل؛ وذلك لأنه يمثل إدارة البدن؛ فصور الكسول يكون من بدايته لآخره كسل كما أن الرأس من الإنسان مبتدأ جسمه من الأعلى، فاستثقل الرأس لامتناعه عن العمل ولم يرفعه، ونجد أيضا شبه الرأس بشيء خيالي بشع مخيف فالشيطان لم يظهر على الحقيقة للناس، وذلك لتحقير صورة الكسلان فلا يستطيع أحد أن ينظر إليه، ولأن النجاة بالرأس إنما هي نجاة بالنفس عن القتل؛ ولأنها مشعر بالقوة والشدة في التنكيل بالعدو في أشنع صورة؛ ويصور رأس الكسلان ببيت الشيطان؛ لأنه لا يفكر ولا يشغل نفسه بعمل لكسله فيخلو رأسه للشيطان ووسوسته، والشيطان يسكن حيث الفراغ والملل واللامبالاة والاستسلام للشهوات، ليشهد ميلاد الرذيلة، ويُؤَثِّر فِي تَثْبِيط النَّائِم كَتَأْثِيرِ السِّحْر، وعبر بالبيت لأن عقله أصبح مكانا يرتاع فيه الشيطان كما يشاء، فتصبح رأس الكسول موطنًاللشيطان الذي يتحكم فيه، فيسكن في عقول الناس في حالة الوسوسة، وقد ربط بين الكسول والشيطان؛ لأن كلاهما شر، فيتلف الشيطان بيوت الناس بالوسوسة وتزين الشر لهم، وكل من يتعاون مع الشيطان ويعمل عمله فهو عش له ومأوى وركيزة.

وقد جاء المثل بطريق الأسلوب الخبري؛ لتفطن الذاكرة الشعبية إلى عواقب الكسل والبطالة وما تلحقا بالفرد من سلوكات سلبية خطيرة قد تدمر الذات الفردية والاجتماعية، كالفقر، السطو والسرقة، المرض، الانتحار. وقد وقع الجناس بين

(١) تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية:٢٣٩. والمثل كقول رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ): « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ... وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ». العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب:٣/٣٨٤، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٩٣م.

(ISSN : 2536 - 9687)

لفظي (كسلان– شيطان) للدعوة إلى العمل والحث عليه من خلال نصائح وأوامر ونقد وإشادة بأخلاق العمل والعامل وذم سلوك البطال والبطالة والكسل.

وقد عكس المثل صلته بفضاء العمل كسلطة قانونية اجتماعية تعمل من أجل تجاور الواقع الاجتماعي بقيمة السلبية وإصلاحها وذلك وفق رؤية وفلسفة شعبية تبحث من أجل تأصيل قيم إيجابية يفتقر إليها الواقع التعس، وهي ذات صلة وثيقة بالدعوى إلى العمل من أجل الخروج من الدائرة السلبية بقيمتها المنحطة (الكسل– الشيطان) والانتقال بالعمل إلى الدائرة الإيجابية (الربح– البركة– الرزق–الحصاد)، فالعمل هو الحياة والدعوة إليه دعوة إلى حب الحياة وممارستها اجتماعيًا، بيولوجيًا، اقتصاديًا، وثقافيًا،والعمل مهما كان بخيسا ماديا فهو أحسن وأجدر وسيلة تكسب العامل الحياة وصيانة النفس من البطالة وما ينجم عنها من مشاكل وانحرافات اجتماعية ونفسية التي ارتبطت في الذاكرة الشعبية بالفضاء الشيطاني المدنس.

العلاقة الآلية:

هي "تسمية الشيء باسم آلته"[1]، وكون الشيء لإيصال أثر شيء إلى آخر، وذلك فيما إذا ذكر اسم الآلة وأريد الأثر الناجم عنه، وكون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر.

ومن أمثلتها:

(عينِ الْحُرِّ مِيزَانُهْ)[2]

(١) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة:٢٩٩.

(٢) تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية:٣٦٣.

يُضرب في حسن تقدير الأشياء، وقوله (العين) ذكر اسم الآلة وأراد الأثر الذي ينتج عنها، ومن هنا فقد ذكر آلة النظر تجوزً الملازمة أحدهما للآخر، فهي وسيلة الرؤية والمشاهدة والقياس الدقيق، وهو يصور تقدير الإنسان الذي جاء في محله ولم يزد أو ينقص وكأنه وزن ذلك الشيء وجاء كاملا غير منقوص، دقيق ومنظم.

والمثل بين دور التجربة والخبرة والسن في الحياة، فعين الأريب الحاذق إذا قاست شيء أحسنت تقديره، فنظر الحر عدله الذي يستطيع أن يزن به الأمور، وجاء التعريف في لفظ (الحر) ليفيد من لا سلطان ولا توجيه لأحد عليه فهو يقدر الأمور بنظرته، كما أنهلا يغير طبيعته في كل الظروف، وبالتالي يدل على أن الحكم يصدر ممن هم أهل له، فعينه كالميزان الذي يضرب به المثل فيما لا خلل فيهسواء في أحكامه ومعاملاته الدينية والدنيوية مع من يخالطهم، فالحر يكفيه النظر في الأمور لتدبير شؤونه مع غيره وعمل ما يجب، فهو غير محتاج لتنبيه منبه ولا إرشاد مرشد، هادئ التفكير رزين، وحسن تقدير الأشياء يظهر عند التاجر الذي اعتاد على بيع الأشياء بالميزان فلكثرة التكرار يعتاد على وزن الأشياء بيده قبل الميزان فتكون مضبوطة كالميزان.

وقد عكس المثل قيمة العدل الذي قد تحقق على يد الإسلام؛ لأن الإنسانية مهما بلغت من رقي وثقافة وإبداع، فإنها لا تستطيع أن تنشأ نظامًا اجتماعيًا كنظام الإسلام، فقد حقق في مجتمعه العدالة الاجتماعية بمعناها الصحيح منذ فجر تاريخه وبزوغ النور.

علاقة باعتبار ما يكون: هي "تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه"[1]، وهو النظر إلى المستقبل.

(١) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة: ٢٩٨.

(ISSN : 2536 - 9687)

ومن أمثلتها:

(الْبَنَاتْ مَرْبَطْهُمْ خَالِى)[1]

يضرب في زواجالفتيات وخروجهن من منازل أهلهن، وقد أطلق (مربطهم خالي) باعتبار ما يكون، فالفتيات عندما تتزوجن يتركن منزل أهلهن، فالمكان بعدهن خالي؛ لأنهن سراعا ما يتركن البيت، وبقاءهن لا يدوم فيه طويلا، كما لا يدوم الوتد الضعيف المربط طويلا،وقد يشير المربط الخالي وهو الوتد الذيفك من الحيوان، فلا قيمة له،والبنات مصيرهن إلى الزواج، والزواج ينتزعهن من بيت العائلة فلا يتركن أثرا، بينما الولد في وجوده وفي غيابه يحافظ على اسم العائلة من الاندثار، وهو الساعي على أفرادها من أجل الرزق وهو المدافع عنها.

وجاء المثل أيضا استعارة تصريحية؛ حيث استعير المربط للمكان وهو يكون للحيوان، ليدل على أن مهما كانت صلات قوية وروابط أسرية تجعل الفتاة مقيمة في المنزل إلا أن العادات والتقاليد تجعلها تغادر منزل والدها لتقيم بمنزل زوجها.

وقد فسر المثل جانبا من الموقف الشعبي من إنجاب الفتيات.

العلاقة السببية:

وهي" تسمية الشيء باسم سببه"[2]؛ أي ذكر اللفظ الخاص بالسبب ويراد به الأثر الناتج عنه والمؤثر في غيره؛ لأن سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه.

ومن أمثلتها: (هَمّ يْضَحَّكْ وَهَمّ يْبَكّى)[3]

---

(١) تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية: ١٥١.
(٢) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة: ٢٩٨.
(٣) تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية:٥٢١.

يُضرب في الهموم؛ الهم سبب الضحك والبكاء، فالهم الذي يثير البكاء هو ما ينتج عن مصيبة أو كارثة ويبعث على الحسرة، والهم الذي يثير الضحك فيبعث عليه، لشذوذه عن المألوف، فهو ضحك ممزوج بالأسف والسخرية لما يصاحبه من مفارقة أو تناقض أو مفاجأة، ونجد أن الصورة "تتعانق وأجزاؤها مع السياق العام الذي يولد علاقة رمزية نشير إلى المتلقي تجاه نقاط تفجر كل واحدة منها طاقات فنية ذات إثارة نفسية خاصة"(١).

وقد وقع الطباق بين لفظي (يضحك– يبكي) ليبين التناقض الكامن في هذه الحياة، وهذا "الطباق له القدرة على مناوشة الشعور عن طريق الإبانة الخاطفة عن وجهي الحياة"(٢).

وقد عكس المثل شخصية المصري الحامل للهموم، التي لا تكاد تفارقه، حتى انحنى ظهره من المتاعب والأحزان، وهو يتعامل مع تلك الهموم إما بالضحك أو البكاء.

(إلدّين سَوَادِ الْخَدّين)(٣)

يُضرب في بيان أثر الدين وما يحدثه في النفوس، فالدين سببا دائما للخجل والحياء، "وسواد الخد لون مميز للأشرار عند محاكتهم وفي الحديث العادي، وهو الخجل من سلوك الإنسان"(٤)، وهنا تكمن وظيفة المجاز من الابتعاد عن لغة التقرير والإخبار، إلى لغة الإيحاء والإيماء وتعدد الدلالة في النص

(١) عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٣٠٥،دار المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، د.ت.
(٢) عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٤٧١.
(٣) تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية:٢٣٥.
(٤) لويس، جون، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي: ٩٧.

(ISSN: 2536 - 9687)

الإبداعي،ولذلك عبر اللون الأسود عن شدة الحزن الذي ينتاب المدين الذي ينفرد به الليل؛ فيعاني هم مفزع، وقلق مفجع، وانشغال باله، وفي النهار يعاني مذلة حين يرى الدائن، وذلك كما قال رسول الله (ﷺ) "إِيَّاكُمْ وَالدَّيْنَ، فَإِنَّهُ هَمٌّ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ"(١)، فالدين يغير حاله، فتسوء حالته النفسية ويجعل وجهه الأبيض أسودا، واللون الأسود يعبر عن مدى المعاناة والألم الذي يعتصر قلب المدين والآلام التي يعانيها فيظهر على وجوههم السواد، "فالسواد يعد انعكاسا للمشاعر السلبية المتمثلة في ظهور أثر الحزن والغم على الوجه نتيجة لحصوله شيء يكرهه المرء"(٢)، ولذلك نجد أن " اللون له دورا كبيرا في استبطان جماليات العمل الأدبي، واستنطاق ما وراء التشكيل الحسي من إيحاءات ودلالات"(٣)، فالدين ثقل شديد لا أحد يستطيع تحمله مثلما قال لقمان لابنه: "حملت الصخر والحديد فلم أجد أثقل من الدَّيْن"، وكذلك كقول الشاعر:

وَلَكن نَارَ الخدّ لِلْقَلْبِ أُحْرُقَتْ فَصَار سَوادُ القَلْبِ خَالاً عَلَى الخَدِّ(٤)

وقد جاء المثل بطريق الأسلوب الخبري؛ للنصح لتدبر المعيشة حتى لا يقع المرء في طائلة الدين، فمن لا يتدبر معيشته بما لديه ليس أمامه إلا استدانة من الآخرين، أو الانزلاق إلى طريق الفقر والحاجة.

---

(١) البرهان فوري، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني: ٢٣٢/٦ رقم الحديث١٥٤٨١، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

(٢) أحمد، يحيى علي، التعبير عن المشاعر من خلال حركات الوجه: ع٢٨/ ١٣٧-١٣٩.

(٣) عبد الحميد، شاكر، الفنون البصرية وعبقرية الإدراك: ١٢٩، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٤) أبو المحاسن، يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٣٢٠/٢، وزارة الثقافة، مصر، د.ت.

وقد أشار المثل إلى أن العلاقات بين الناس مبنية على الأخذ والعطاء وبين هذا وذاك يتحرك المال في كل الاتجاهات ويترتب على هذه التعاملات أن يكون هناك دائن ومدين؛ وهي نتيجة طبيعية للتعاملات المالية بين الناس في حالة التأخر في سداد المال.

العلاقة المحلية:

هي "تسمية الشيء باعتبار محله"(١)، وكون الشيء يحل فيه غيره.

ومن أمثلتها: (عيبِ الرَّاجِلْ جيبُهْ)(٢)

الجيب: "في المصرية والسودانية بمعنى جزء الثوب تحفظ فيه النقود، وفي الفصحى الجيب طوق القميص"(٣).

يُضرب في البرم بمن لا مال له، وقد أطلق الجيب وأريد المال لأنه موضعه، فالجيب هو مدخل الرأس من الجلباب، ويحمل النقود، فيعاب الرجل بقلة دخله وماله، ويربط المثل بين الرجولة والجيب الممتلئ بالمال، فهو لا يعاب بشكله أو مظهره أو تعليمه أو أخلاقه أو غيره، وفي المقابل فإن البنت يعيبها شكلها وكل شيء حسب نظرة المجتمع الذي يُحمّل المرأة كل الأخطاء، وفي هذا المثل المادي إهدار لمعاني التُقى وغنى النفس وحُسن الخلق، كما قال الرسول (ﷺ) "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"(٤).

---

(١) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة:٢٩٨.

(٢) تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية:٣٥٩.

(٣) أنيس، إبراهيم، العربية ولهجاتها:٤٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس:(٩٥/٨)، برقم: ٦٤٤٦، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، (٧٢٦/٢)، برقم: ١٠٥١.

(ISSN : 2536 - 9687)

وقد جاء المثل بطريق الأسلوب الخبري؛ للدلالة عما تعانيه المرأة من مرارة؛ فكأن الرجل كامل من كلشيء إذا كان لديه مال، فهو أحق بكل شيء فيؤدي به ذلك إلى طلاق زوجته، أو يتزوج عليها بامرأة ثانية، وهنا ننتقل لعلاقة أخرى وهي علاقة المرأة بالزوجة الثانية وما تعانيه المرأة منها من ذلك، وكذلك فيه تعيير للرجل بفقره، فالرجل لا عيب فيه مادام جيبه ملآن وهو بذلك يقاس، وما يأسف له حقاأنالمادة أصبحت مقياسا للفعالية، فأصبحت قيمة الرجل تقدر بماله.

وقد وضح المثل عنصر اختيار الزوج هو المال وليس شيئا آخر عند بعض الفئات المصرية، فيعاب الرجل بقلة الإنفاق على أهله وعياله وليس شيئا آخر.

الخاتمة:

ومع هذه الدراسة الخاصة بالصورة المجازية في المثل الشعبي فقد توصلت من خلالها إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها على النحو التالي:

– صيغت الصورة المجازية صياغة جمالية مركزة ومكثفة وواعية، وعبرت عما يجول في النفس دون حرج أو خوف، فجاءت على سجيتها.

– عمل المجاز على توسع اللغة، فالمفردة تتخطى الدائرة اللغوية إلى الدائرة الفنية، فأدى التجوز والاتساع في المفردات ومعانيها إلى إغناء المعجم الدلالي بحياة لغوية متجددة ومبدعة.

– ورد المجاز العقلي بنسبة قليلة؛ وذلك لارتباط بالعقل، والحكيم الشعبي قليلا ما يعتمد على العقل والمنطق في أموره وحياته، فأمثاله ونظم حياته ترجع لفطرته البسيطة البعيدة عن الفلسفة العميقة والمنطق الجدلي، كما أن المجاز العقلي يصلح أن يكون من ضمن حذف الجملة.

– أما بالنسبة للمجاز المرسل غلب في المثل الشعبي؛ وذلك لأنهم استخدموه في موضوعات كالأسرار والكسل والتعاون... وغيرها، وهذه الموضوعات كان التعبير عنها بطريقة غير مباشرة لإقناع العقلية البسيطة في المثول لهذه القضايا.

– أطلق مصطلح المجاز المرسل والاستعارة التصريحية على لفظ واحد، مع أن قرينة المجاز مانعة والاستعارة التصريحية غير مانعة، باعتبارين مختلفين.

(ISSN : 2536 - 9687)

المصادر والمراجع:

١. أبو المحاسن، يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، مصر، د.ت.

٢. ابن الناظم، بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق وشرح : حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٣. ابن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٤. الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١م.

٥. السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٦. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٩٣م.

٧. القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٠٤م.

٨. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٩. تيمور، أحمد، معجم الأمثال العامية ، دارالكتاب العربي، مصر ،الطبعة الثانية، ١٩٥٦م.

١٠. رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، دار المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، د.ت.

١١. ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٤م.

١٢. عبد الحميد، شاكر، الفنون البصرية وعبقرية الإدراك، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٣. عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

١٤. لويس، جون، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي، ترجمة: إبراهيم أحمد شعلان، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.